عرس في القرية

مثلما تنفض الريحُ ذرَّ النُّضارْ
عن جناح الفراشة ، مات النهار —
النهار الطويلْ .
فاحصدوا يا رفاقي ، فلم يبق إلاّ القليل .
كان نَقْرُ الدَّرابك منذ الأصيل
يتساقط ، مثلَ الثمار ،
من رياح تهوِّم بين النخيل —
يتساقط مثل الدموع
أو كمثل الشرار :
إنها ليلة العُرس بعد انتظار !
مات حبٌّ قديم ، ومات النهار
مثلما تُطفىء الريح ضوءَ الشموع .
الشموع ... الشموع ،
مثل حقل من القمح عند المساء ،
من ثغور العذارى تعبُّ الهواء ،
حين يرقصنَ حول العروس
منشدات : « نوار ، اهنئي يا نوار !
حلوة أنتِ مثل الندى ، يا عروس » .
يا رفاقي ، سترنو إلينا نوار
من علٍ في احتقار .
زهّدتها بنا حفنةٌ من نُضار :
خاتمٌ أو سوار ، وقصرٌ مشيدْ
من عظام العبيد ...
وهي ، يا ربِّ ، من هؤلاء العبيد !
ولو أنّا وآباءنا الاولين
قد كدحنا طوال السنين
وادّخرنا — على جوع أطفالنا الجائعين —
ما اكتسبناه في كدنا من نقود ،
ما اشترينا لها خاتماً او سوار !
خاتم ضم في ماسه الازرق
من رفات الضحايا مئات الّلحود .
اشتراها به الصيرفيُّ الشقي .

★

مثلما تنثر الريح عند الاصيل
زهرة الجلّنار —
أقفر الريفُ لمّا تولّت نوار .
بالصبابات ، يا حاملات الجرار
رُحْنَ واسألنَها : « يا نوار
هل تصيرين للأجنبي الدخيل ؟
للذي لا تكادين أن تعرفيه ؟
يا ابنة الريف ، لم تنصفيه !
كم فتىً من بنيه
كان أولى بأن تعشقيه ؟ !
إنهم يعرفونك منذ الصغرْ
مثلما يعرفون القمر ...
مثلما يعرفون حفيف النخيلْ
وضفاف النهر
والمطر
والهوى ، يا نوار ... » .
احصدوا يا رفاقي ، فأن المغيب
طاف بين الروابي يرش اللهيب
من أباريق مجبولة من نضار ؛
والزغاريد تصدي بها كل دار :
أوقد القصر أضواءه الاربعين ،
فاتبعوني اليها مع الرائحين .
اتركوني أغني أمام العريس
وأراقص ظلي كقرد سجين
وأمثلُ دور المحب التعيس
ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين ،
من هواي المضاع ،
من قلوب الجياع
حين تهوى ، ومن ذلة الكادحين .
سوف آكلُ حتى ينزَّ الدمُ
من عيوني ... فما زال عندي فمُ :
كل ما عندنا نحنُ ، هذا الفمُ !
كان وهماً هوانا ، فان القلوب
والصبابات وقفٌ على الاغنياء !
لا عتابٌ .. فلو لم نكن اغبياء
ما رضينا بهذا ، ونحن الشعوب .

★

فاشهدي يا سماء
واشهدي يا سهولَ الجنوب:
ما بقينا فهيهات يبقى شقاء —
إننا الاقوياء ...

بغداد

بدر شاكر السيّاب